

شظايا الخراب

تأليف

د. محمد كمال عرفه الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقير والمؤلف القانوني
والمحاضر الدولي في القانون

إهداء

إلى كل من فقد شيئاً ثميناً في زمن الخراب

إلى كل من بحث عن الحقيقة بين الأنقاض

إلى كل من آمن أن الشظايا يمكن أن تبني عالماً
جديداً

الفصل الأول

الشظية الأولى: الغبار

الزمان: السنة الخامسة بعد السقوط

المكان: أنقاض مستشفى المدينة المركزي

الشخصية: ليلي

لم يكن الموت هو ما يخيف ليلي الآن، بل الصمت.

ذلك الصمت الثقيل، اللزج، الذي يغطي المدينة كأنها مقبرة واسعة لا تنتهي حدودها. لا صوت للسيارات، لا صياح باعة، ولا حتى أذان يعلو من مآذن سقطت نصفها في الشوارع. فقط صوت الرياح وهي تعزف

نواحياً عبر الهياكل العظمية للمباني، وصوت نفسها وهي تصفر عبر قناع الغاز المعلق في عنقها كذكرى عديمة الجدوى.

وقفت ليلى فوق أكوام الركام، ظلّالها تمتد على الأرض المكسوفة كأنها أشباح تلاحقها. بيدها اليمنى قنينة ماء نصف فارغة، رجّتها قليلاً فسمعت صوت السائل الخافت يطمئن عطشها المؤجل. وفي يدها اليسرى مسدسٌ صدئ، لا تتأكد إن كان لا يزال يطلق النار، أم أنه أصبح مجرد قطعة حديد باردة تزن الكف.

حدقت في المبنى أمامها.

كان يوماً ما مستشفى المدينة المركزي. الآن، هو هيكل أسود اللون، نخرته الحرائق، ونوافذه كعيون مقلعة تنظر إلى السماء بلا أمل. قالت لها الشائعات في المخيم الشمالي إن الأطباء لم يهربوا جميعاً. بعضهم بقي حتى النهاية. وبعضهم أخفى أشياءً قبل أن يأتي الطهر الذي أرسله اللواء سليم.

أشياء قد تنقذنا، همست لنفسها، صوتها مبحوشاً
من قلة الاستخدام.

دفعت الباب الجانبي بقدمها. صرير الحديد يقطع
الصمت مثل صرخة، فتجمدت في مكانها. انتظرت.
ثوانٍ مرت كساعات. لم يسمعها أحد. أو ربما سمعها
من لا يهتم.

دخلت.

رائحة العفن ممزوجة بمطهرات قديمة فاحت في أنفها،
فتذكرت طفولتها. تذكرت رائحة المستشفيات قبل أن
تتحول إلى مذابح. ممرات طويلة مغطاة بالأوراق
المتناثرة مثل ثلج قذر. ملفات مرضى، وصفات طبية،
صور أشعة لأشخاص تحولوا الآن إلى رماد.

تجاوزت الممر الرئيسي متجهة نحو جناح الإدارة. كانت
تبحث عن شيء محدد. لا تعرف ماهيته، لكن حدس

البقاء أخبرها أن الإجابة تكمن في أعلى المبنى، حيث مكاتب كبار الأطباء.

صعدت السلم درجاتٍ درجاتٍ، متجنباً الخطوات التي تصدر صوتاً. في الطابق الثالث، توقفت أمام باب خشبي نصف محترق. على اللوحة المعدنية المعلقة عليه، كُتب بخط باهت: د. ياسر - رئيس الأبحاث. دفعت الباب.

غرفة واسعة، زجاج نوافذها محطم، والستائر ممزقة ترفرف كالأشلاء. مكتب ضخم في المنتصف، مقلوب على جانبه.

ركعت ليلى بجانبه، وبدأت تبحث في الأدراج المكسورة.

أقلام جافة، دبابيس صدئة، علبة أدوية فارغة من عامين.

خيبة الأمل بدأت تزحف إلى صدرها. هل كانت الشائعة
كذبة أخرى؟ هل ماتت الأمل هنا كما مات الجميع؟

مدت يدها إلى الدرج السفلي، وكان مغلقاً بمشبك
حديدي صغير. سحبت مسدسها وضربت المشبك
بعقبه. انكسر المعدن الهش بصوت جاف.

فتحت الدرج.

لم يكن هناك مال. لم يكن هناك طعام.

كان هناك دفتر ملاحظات جلدي أسود، وبجانبه ورقة
واحدة مطوية بعناية فائقة، وكأن من طواها كان يعلم
أنها ستُوجد يوماً ما.

مدت يدها المرتجفة نحو الورقة. فتحتها ببطء.

خط يد مرتجف، وحبير أزرق باهت يكاد يختفي مع
الوقت. قرأت السطور الأولى، فتوقف قلبها عن النبض

للحظة.

اليوم الثالث... العزل فشل.

ظننا أننا نحمي المدينة، لكننا كنا نبني سجنًا
للموتى.

هم لا يموتون بسبب الفيروس فقط، بل يموتون لأننا
توقفنا عن رؤيتهم بشراً.

إذا وجدت هذه الورقة، فاعلمي أن القرار لم يكن بيدي.
لكن الذنب سيبقى في يدي.

لم يكن التوقيع واضحاً، لكن الختم أسفل الصفحة كان
مفهوماً: مختبر الأبحاث المركزي - سري جداً.

طوت ليلى الورقة وضعتها في جيبها قرب قلبها،
مباشرة فوق جلدها. شعرت ببرودة الورقة تخرق

صدرها. هذه ليست مجرد ورقة، إنها خريطة. خريطة
تقود إلى مكان قد يكون فيه جواب واحد فقط: لماذا بدأ
كل هذا؟ ومن هو الطبيب الذي كتب هذه الكلمات قبل
أن يختفي؟

رفعت رأسها نحو النافذة المكسورة. في الخارج، كانت
رياح الصحراء تعصف ببقايا لافتة ضخمة سقطت نصفها،
والنصف الباقي يقرأ بصعوبة: السلامة أولاً.

ضحكت ليلى ضحكة جافة ممزوقة بالسعال. السلامة،
همست لنفسها. كذبة أخرى في عالم من الكذب.

نهضت لتغادر الغرفة، لكن صوتاً خافتاً وصل إلى
أذنيها.

طققة.

صوت حجر يُداس بعناية. لم يأتِ من الممر الذي
دخلت منه. بل من الأعلى. من سقف الغرفة حيث

توجد فتحة تهوية مهجورة.

تجمدت ليلى في مكانها. لم تلتفت. يدها انزلت ببطء نحو مسدسها في جيبها.

شعرت بنظرة تحرق ظهرها. شخص ما كان يراقبها منذ أن دخلت المبنى. شخص صامت، صبور، وخطير.

هل هو أحد الناجين؟ أم أحد رجال سليم الذين يطاردون أي شخص يبحث عن الماضي؟

أخرج، همست للظلام، صوتها ثابت رغم الخوف الذي يعصف بها.

لم يأتِ رد. فقط صوت رياح أقوى هبت من النافذة، حملت معها غباراً كثيفاً حجب الرؤية لثوانٍ.

عندما استقر الغبار، كانت الغرفة فارغة كما كانت. لكن ليلى عرفت الحقيقة.

هي لم تكن وحدها. والورقة في جيبها أثقل من أي سلاح.

خرجت من الغرفة، خطواتها أسرع هذه المرة. ضلالها ترقص على الجدران المحترقة. لم تكن تعرف أن الرجل الذي يراقبها من الطابق العلوي يرتدي معطفاً عسكرياً ممزقاً، ويحمل في يده قائمة أسماء... كان اسمها في أعلاها.

لم تكن تعرف أن البحث عن الحقيقة قد يكلفها حياتها.

لكن في عالم من الخراب، الحقيقة هي الشيء الوحيد المتبقي الذي يستحق الموت من أجله.

نزلت السلم ركضاً، واندفعت إلى الشارع المهجور.

الشمس كانت تغرب، تلون السماء بلون الدم.

بدأت الرحلة.

الفصل الثاني

الشظية الثانية: الضجيج

الزمان: السنة صفر - اليوم الثالث من الحجر الصحي

المكان: مستشفى المدينة المركزي - جناح العناية
المركزة

الشخصية: د. ياسر

لم يكن هناك صمت هنا. لم يكن هناك غبار.

كان هناك فقط صراخ.

صراخ يملأ ممرات مستشفى المدينة حتى ليكاد يغطي صوت أجهزة التنفس الصناعي التي تتنفس نيابة عن أصحابها، وصوت الأحذية المطاطية التي تجري على الأرضيات المبللة بالدماء والمطهرات. رائحة الكلور كانت خانقة، تختلط برائحة الخوف التي تفوح من المسام قبل أن تفوح من الجروح.

وقف د. ياسر أمام السرير رقم أربعمائة وأربعة. بيده قناع أكسجين واحد فقط.

أمامه مريضان.

امرأة في الثلاثين من عمرها، تتنفس بصعوبة، وعيناها توسلان نحو السقف كأنها تبحث عن رحم الله قبل رحم الأطباء. زوجها يقف في الزاوية، رأسه بين يديه، يبكي بصمت.

وبجانبتها، رجل في الستين، مسؤول حكومي كبير،

وصل بحراسة خاصة، وجلده شاحب لكن عينيه حادتان كالفولاذ.

الدكتور، همست الممرضة، وصوتها يرتجف تحت القناع. الأمر يعود لك. الجهاز واحد. والمولد الكهربائي سينقطع خلال ساعة.

نظر ياسر إلى يديه. كانتا ترتجفان. لم يكن الارتجاف من التعب، رغم أنه لم ينام منذ ثلاثين ساعة، بل من ثقل القرار. في العالم الطبيعي، الخيار واضح: الأولوية للأصغر سنًا، للأمل الأكبر في البقاء. هذا ما تعلمه في الكلية. هذا ما قسم عليه.

لكن هذا لم يعد العالم الطبيعي.

وصل الرجل الكبير في السن إلى يده، وقبل أن يلمسها، خطا أحد الحراس خطوة للأمام. كان رجلاً

ضحماً، يرتدي زياً أمنياً غير مكتمل، وعيناه لا
ترمشان. همس في أذن ياسر، صوتاً منخفضاً لا
يسمعه إلا الشيطان وصاحبهما:

تذكر أن عائلتك تعيش في الحي الشمالي يا دكتور.
الهواء هناك نقي... طالما بقيت القرارات صحيحة. لدينا
قائمة بأسماء من يحصلون على الإمدادات.

كانت تهديده واضحة. حياة عائلته مقابل حياة المرأة
المجهولة.

نظر ياسر إلى المرأة. كانت تهمس باسم ابنتها.
ليلى... اهتمي بليلى...

اسم ابنته هو نفسه. شعرة من جسده ارتجفت.

أغلق ياسر عينيه للحظة. في تلك اللحظة، مات شيء
بداخله. لم يمت جسده، لكن جزءاً من إنسانيته

انكسر إلى الأبد، وتناثر على أرضية الغرفة القذرة.

مد يده بالمقنec نحو الرجل الكبير.

صرخت المرأة. لم تكن صرخة ألم، بل صرخة خيانة.
صرخة ستلاحقه في كل مرة يغمض فيها عينيه
لسنوات قادمة.

زوجها لم يصرخ. فقط نظر إلى ياسر نظرة لم يحتو فيها
على غضب، بل على شفقة. شفقة على طبيب باع
روحه لبقى جسده حياً.

سامحني، همس ياسر، لا يعرف لمن يقولها.

عاد إلى مكتبه، مغلقاً الباب وراءه بعنف. اتكأ عليه
وتنفس بعمق، لكن الهواء لم يدخل رئتيه. جلس أمام
ورقة بيضاء. يده ترتجف كما رأت ليلي ذلك الخط بعد
خمس سنوات في المستقبل.

أخذ قلمه الأزرق، الحبر الوحيد المتبقي لديه. كتب:

اليوم الثالث... العزل فشل.

ظننا أننا نحمي المدينة، لكننا كنا نبني سجنًا
للموتى.

هم لا يموتون بسبب الفيروس فقط، بل يموتون لأننا
توقفنا عن رؤيتهم بشراً.

إذا وجدت هذه الورقة، فاعلمي أن القرار لم يكن بيدي.
لكن الذنب سيبقى في يدي.

توقف القلم عن الحركة. قطرة حبر سقطت على
الورقة، كأنها دمعة زرقاء.

طوى الورقة ووضعها في درج مكتبه المقفل. نظر من
النافذة. في الخارج، كانت الشوارع لا تزال مزدحمة،

والناس يضحكون، لا يدرون أن الجحيم سيبدأ غداً
بشكل رسمي. السيارات تمر، والأضواء تلمع، والحياة
تبدو طبيعية بشكل مخيف.

سامحني، همس للورقة، ولمن ستقرأها يوماً في
المستقبل. سامحني لأنني اخترت البقاء على أن
أكون إنساناً.

أطفأ النور. بقي فقط صوت أجهزة الإنذار ينادي باسمه
في الممر المظلم.

في الخارج، بدأ المطر ينزل لأول مرة منذ أشهر. غسل
الدماء عن الشارع، لكن لم يستطع غسلها من يدي
ياسر.

الفصل الثالث

مشهد رابط: الصورة في الدرج

عادت ليلى إلى الدرج المفتوح. الورقة كانت في جيبها، لكن شيئاً ما جذب انتباهها نحو الزاوية الخلفية للدرج، حيث كان هناك ظلال كثيفة.

مدت أصابعها المغطاة بالغبار، ولمست إطاراً بلاستيكيًا صغيراً، محترق الحواف لكنه سليم في الوسط.

سحبته.

كانت صورة فوتوغرافية قديمة، ألوانها بدأت بالبهتان.

امرأة شابة تبتسم، تحمل طفلة صغيرة على كتفها. الطفلة لا تتجاوز الثلاث سنوات، تضحك بعينين واسعتين.

قلب ليلى توقف.

عرفت تلك الابتسامة. عرفتھا لأنها كانت تنظر إليها كل يوم في المرأة المكسورة في مخيمھا.

قلبت الصورة بيد مرتجفة. على الخلف، خط يد أنثوي
ناعم:

ليلى وعمرھا ثلاث سنوات. قبل المرض بعام. أمھا:
سارة.

سارة.

اسم همسته لها جدتها ذات مرة قبل أن تموت هي
الأخرى: أمك كانت تسمى سارة، ماتت وهي تحاول
إنقاذك في المستشفى الكبير.

نظرت ليلى إلى الورقة التي كتبتها يد د. ياسر في
نفس الدرج.

اليوم الثالث... القرار لم يكن بيدي.

شعرت بدوار مفاجئ. الغرفة دارت بها.

الطبيب الذي كتب هذه الكلمات... هو الرجل الذي قرر موت أمها.

هو الرجل الذي جعلها يتيمة في عالم كان على وشك الانهيار.

هو الرجل الذي تبحث عنه منذ سنوات لتسأله: هل كان هناك أمل؟ والإجابة الآن تصرخ في وجهها من بين السطور: نعم، كان هناك أمل، لكنه اختار المال والسلطة عليكِ وعلى أمك.

ضغطت على الصورة حتى طوت حافتها الحادة جلدها. دمعة واحدة، جافة وساخنة، شقت طريقها عبر الغبار على خدها.

لم تبكِ حزناً. بل بكت غضباً. غضباً تراكم لخمس سنوات.

وجدتك، همست للصورة، ثم نظرت نحو الباب المظلم حيث شعرت بالمراقب. وجدت قاتل أمي.

وضعت الصورة بجانب الورقة في جيبها الداخلي، قرب قلبها. هذه المرة، ليس كامل، بل كدليل إدانة.

ثم نهضت. لم تعد تبحث عن نجاة. أصبحت تبحث عن عدالة.

الفصل الرابع

الشظية الثالثة: القرار

الزمان: السنة الأولى بعد الوباء

المكان: غرفة العمليات المركزية

الشخصية: اللواء سليم

لم يكن هناك صراخ هنا. لم يكن هناك غبار.

كان هناك فقط صوت طابعات الليزر وهي تلفظ أوراق الموت بسرعة منتظمة وميكانيكية.

جلس اللواء سليم خلف مكتب من الزجاج المقاوم للرصاص. لم يعد يرتدي الزي الأمني البسيط. الآن، يرتدي بدلة عسكرية داكنة مزينة بأوسمة لم يكسبها في حرب شريفة، بل في إدارة كارثة.

أمامه شاشة ضخمة تعرض خريطة المدينة الرقمية. أحياء كاملة تلون باللون الأحمر القاني.

مناطق ملوثة، هكذا كتبوا عليها في التقارير الرسمية.

لكن سليم يعرف الحقيقة: إنها مناطق موت محكوم.
وأوامره هي تنفيذ الحكم.

وضع يده على الختم الرسمي الثقيل. أمامه أمر إخلاء
حي الزهور.

الإخلاء، في قاموس اللجنة الجديدة، يعني حرق الحي
بمن فيه لمنع انتشار العدوى. آلاف الأرواح مقابل
الصالح العام.

الصالح العام، كرر الكلمة بتذوق، وكأنها نبيذ فاخر.

سيدي، دخل مساعده بتردد، يحملون ملفاً أحمر.
هناك مشكلة في قائمة المراقبة.

رفع سليم حاجبه دون أن ينظر إليه. أي مشكلة؟ هل
نغد الوقود للشاحنات؟

لا سيدي. المشكلة في هاربة. شابة اسمها ليلي.
نجحت في الهروب من حجر حي الزهور قبل بدء عملية
التعقيم بساعة واحدة.

توقف يد سليم عن الحركة. رفع رأسه ببطء. عيناه
باردتان كالحجر، لكن ومضة قلق خفيفة مرت في
عمقهما.

ليلي؟ صمت قليلاً. الذاكرة عادت به إلى تلك الليلة
في المستشفى. المرأة التي ماتت. الطبيب الذي
انكسر. والتهديد الذي استخدمه: عائلتك تعيش في
الحي الشمالي.

لم تكن لديه عائلة آنذاك. كان يستخدم تهديد العائلة
كورقة ضغط عامة. لكن هذه الفتاة... هي ابنة تلك
المرأة.

نعم سيدي، تابع المساعد. هي تبحث عن الطبيب

ياسر. تقول إنه يملك الدليل. وقد شوهدت تدخل
أنقاض المستشفى المركزي منذ ساعات.

شعر سليم بعرقه باردة تتدفق على ظهره رغم برودة
المكيف.

ياسر اختفى، لكن الجميع يعتقد أنه مات. الحقيقة أنه
قد يكون حياً، ومعه تلك الورقة اللعينة. وهذه الفتاة
هي الشاهد الحي على جريمة الاختيار التي حدثت
في اليوم الأول. إذا اجتمعا، وإذا وجدت الورقة طريقها
للنور... فإن عرشه المبني على الجثث سيهتز.

لا ترسلوا فرقة اغتيال الآن، قال سليم بصوت هادئ
مرعب، جعل المساعد يرتجف.

سيدي؟

دعوها تبحث، ابتسم سليم ابتسامة لا تصل لعينه.
دعوها تجد ياسر إذا كان حياً. عندما يجتمعان...

ستحترق الحقيقة معهما. نقتل عصفورين بحجر واحد:
الطبيب الخائن، والشاهدة المزعجة.

وقع على أمر حرق الحي بقلم ذهبي ثمين.

نفذوا العملية في حي الزهور فوراً. ولا تتركوا أثراً.

في الخارج، بدأت صافرات الإنذار تعوي، معلنة بداية
نهاية حي كامل.

لكن داخل الغرفة، كان الصمت هو الصوت الأعلى.

سليم نظر إلى يده الموقعة بالدماء، ثم فتح درج مكتبه
السفلي. بداخله مسدس قديم، ونسخة من تلك
الصورة التي وجدتها ليلي للتو. كان يحتفظ بها كتأمين.

البقاء للأقوى، همس لنفسه، محاولاً إقناع ضميره كان
قد مات منذ زمن طويل.

لكن في عمق عينيه، كان هناك خوف حقيقي. خوف

من فتاة تملك مسدساً صدئاً، وورقةً صفراء، وحقاً
في الثأر يوقد ناراً لا يستطيع الماء إطفاءها.

أغلق الملف.

ليلي، نامها على لسانه كأنه طعم مر. سأجعلك
الشظية الأخيرة التي تسقط.

الفصل الخامس

الشظية الرابعة: الفخ

الزمان: السنة الخامسة بعد السقوط

المكان: مخرج مستشفى المدينة المركزي

الشخصية: ليلى

لم تخطُ ليلى خطوة واحدة نحو الباب الرئيسي.

غريزة البقاء، تلك التي صقلتها خمس سنوات من الجوع والمطاردة، صرخت في رأسها قبل أن تلمس مقبض الباب. الهدوء في الخارج كان مريباً. حتى الغربان توقفت عن النعيب. حتى الرياح بدت وكأنها تحبس أنفاسها.

وقفت ليلى في الظل خلف جدار محطم، وأخرجت مرآة صغيرة مكسورة من جيبها. مدتْها ببطء نحو زاوية الممر المؤدي للخروج.

لمحت لمعة خافتة. عدسة قنّاص.

ثم لمعة أخرى. جندي يرتدي زيّاً داكنًا يندمج مع الأنقاض.

لم يكونوا قطاع طرق. قطاع الطرق يظهرون ويصرخون
ويطلبون المأوى. هؤلاء كانوا ينتظرون بصمت. هؤلاء كانوا
محترفين.

ضغطت ليلي على الورقة والصورة في جيبها الداخلي.
شعرت بحوافهما الحادة تضغط على ضلوعها.

يعرفون، همست. شخص ما أخبرهم أنني هنا.

لم يكن لديها وقت للخوف. الخوف يقتل في الشوارع
المفتوحة، لكن في الأنقاض، التردد هو القاتل.

نظرت نحو الباب الرئيسي مرة أخرى. الموت ينتظر
هناك بزي رسمي.

ثم نظرت نحو الأرض. شبكة من الحديد المتكسر
تغطي فتحة صرف صحي قديمة، نصفها مغطى
بالركام.

أسفل، قررت.

ركعت بسرعة، وأخرجت سلكاً معدنياً من حزامها. ثنته بعناية حتى دخل في فتحة القفل الصدئ للغطاء الحديدي. لم تكن هذه المرة الأولى التي تستخدم فيها مجاري المدينة كطريق هروب. المجاري كانت شرايين المدينة الميتة، وهي تعرف كيف تتدفق فيها دون أن تغرق.

زحفت في الظلام، ممسكة المسدس بيدها اليمنى، والورقة بيسراها.

في الأعلى، سمعت أصواتاً خافتة تتبادل إشارات لاسلكية.

الهدف دخل المبنى.

تفقدوا المخارج.

لا تطلقوا النار إلا عند التأكد.

صوت القائد كان هادئاً. هذا لم يكن كميناً عشوائياً.
كانوا يريدونها حية، أو يريدون ما تحمل.

ابتسمت ليلي في الظلام ابتسامة مريرة. تأخرتم
قليلاً أيها السادة.

زحفت لمسافة مثتي متر حتى وصلت إلى نقطة
اتصال أخرى تؤدي إلى حي المصانع. كانت تعرف هذا
المسار. قبل الوباء، كان المهندسون يستخدمونه
للصيانة. الآن، أصبح طريقاً للأشباح.

دفعت الغطاء العلوي بكتفها. خرجت إلى شارع جانبي
مغطى بالرماد.

نهضت ونفضت عنها بقايا الماء القذر. نظرت خلفها نحو
المستشفى.

كان المبنى يبدو هادئاً، لكن العيون كانت تحرق فيه
من كل نافذة.

أخرجت الورقة مرة أخرى تحت ضوء القمر الشاحب.
كانت هناك إحدائيات مكتوبة بخط صغير على الحاشية
السفلية لم تنتبه لها في المرة الأولى.

الحي القديم.. المكتبة المهجورة.. الزاوية الشمالية.

طوت الورقة وأعادتها.

لم تعد تبحث عن ملاذ آمن. الملاذات الآمنة لم تعد
موجودة. أصبحت تبحث عن نقطة انطلاق.

نظرت إلى المسدس، ثم إلى الطريق المظلم الممتد
أمامها. الطريق الذي يؤدي إلى قلب المدينة الميتة،
حيث يقال إن الوحوش والبشر الحقيقيين يختبئون
هناك.

ليلي، ناداها صوت في رأسها. صوت أمها من الصورة.
لا تتوقفي.

لن أتوقف، ردّت بصمت.

خرجت من تحت الأرض مثل شبح، خلفها دخان،
وأمامها طريق واحد فقط يؤدي إلى الحي القديم.

الصيد بدأ، لكن الصياد لا يعرف أن فريسته تحمل
خريطة لنهايته.

الفصل السادس

الشظية الخامسة: العزلة

الزمان: السنة الثالثة بعد السقوط

المكان: قبو مهجور في الحي القديم

الشخصية: د. ياسر

الظلام لم يكن عدوه. العدو كان الضوء الخافت الذي يسمح له بالتفكير.

في القبو، حيث الرطوبة تأكل الجدران والطوب المتساقط يغطي الأرض مثل الثلج الرمادي، كان الوقت يقاس بقطرات الشمعة الذائبة، وليس بالساعات.

سعل د. ياسر.

كانت سعلة جافة، عميقة، تهز صدره الهزيل كأنها تحاول اقتلاع رئتيه من جذورهما. نظر إلى منديلته البيضاء الملوثة بالدم. بقع حمراء صغيرة تتوسع ببطء.

الفيروس لم يمت. كان ينمو داخله ببطء السلحفاة،
ربما لأن مناعته كانت ضعيفة، أو ربما لأن الله أراد له
أن يعيش ليشهد العواقب.

جلس على الكرسي الخشبي الوحيد في الغرفة.
أمامه طاولة مغطاة بأوراق متراسة، ومجلات علمية
قديمة، ودفتر جلدي أسود بدأ يمتلئ.

كان هذا الدفتر هو جسده الثاني. إذا مات جسده،
فسيبقى هذا الدفتر شاهداً.

أخذ القلم. يده ترتجف، لكن الخط كان ثابتاً هذه المرة.

السنة الثالثة. المخزون من الأدوية نفذ تماماً. أعيش
على بقايا المعلبات التي يجلبها ذلك الرجل المقنع. لا
أعرف اسمه، ولا يريد أن أعرفه. يدفع له الجوع مقابل
الصمت.

توقف القلم عن الحركة.

رفع ياسر رأسه نحو السقف المنخفض، كأنه يستطيع الرؤية عبر طبقات الأرض الإسمنتية.

في الخارج، كانت المدينة تموت ببطء. كان يسمع أحياناً دوي انفجارات بعيدة، أو صراخاً يخفته الرياح. لكن هنا، في قبره الاختياري، كان الصوت الأعلى هو صوت ذاكرته.

تذكر وجهها.

سارة. المرأة في السرير أربعمائة وأربعة.

لم يمر يوم دون أن يرى عينيها وهي توسلان نحو السقف قبل أن تنطفئ. لم يمر يوم دون أن يسمع صوت زوجها وهو يبكي في الزاوية.

لماذا أنا؟ كان يسأل نفسه كل ليلة. لماذا اخترتُ

سلطتي على حياتها؟

لم يكن هناك جواب. فقط الصمت الثقيل للقبو.

طرق خفيف على الباب الحديدي العلوي. ثلاث طرقات متباعدة.

نهض ياسر ببطء، ممسكاً جداراً ليتوازن. سحب المزلاج وفتح الباب قليلاً.

كان الرجل المقنع مرة أخرى. وضع كيساً صغيراً من الخبز الجاف على العتبة.

هل هناك أخبار؟ سأل ياسر، صوته مبحوشاً من قلة الاستخدام.

تردد الرجل قليلاً، ثم همس بصوت مشوش: يقولون في المخيم الشمالي... أن هناك فتاة. تبحث عن طبيب.

تجمد ياسر في مكانه. الكيس سقط من يده.

طبيب؟ كرر الكلمة وكأنها من لغة منسية.

نعم. تبحث عن طبيب من المستشفى المركزي. تقول إنه يملك الحقيقة. اسمها... ليلي.

سقط العالم على كتفي ياسر في تلك اللحظة.

ليلي.

اسم ابنة سارة. هو يتذكره جيداً. كانت الأم تهمس به في لحظاتها الأخيرة. ليلي... اهتمي بليلي.

لم تكن مصادفة. الفتاة التي تبحث عنه الآن، هي الشاهد الحي على جريمته. هي الدم الذي لم يجف على يديه.

أغلق الباب ببطء. اتكأ عليه وأنزق جسده إلى الأرض.

لم يخف منها. لم يخف من موتها على يدها. بل شعر
براحة غريبة.

الهرب انتهى. السنوات الثلاث من العزلة، من الخوف،
من الكتابة في هذا الدفتر، كانت كلها تمهيداً لهذه
اللحظة.

لم يكن يختبئ ليحمي نفسه. كان يختبئ ليحمي
هذا الدفتر. ليحمي البيانات التي تثبت أن الفيروس لم
يكن طبيعياً، وأن سليم هو من فتح الأبواب للجحيم.

نظر إلى الدفتر المفتوح على الطاولة.

أخذ القلم مرة أخرى، وأضاف سطراً جديداً تحت تاريخ
اليوم:

ابنة سارة تبحث عني. القدر لا ينام. ربما حان وقت
دفع الثمن.

نهض بصعوبة وعاد إلى الطاولة. بدأ يرتب الأوراق بعناية
فائقة. وضع الدفتر في كيس مقاوم للماء، ووضعه
بجانبه.

لم يعد يهرب. من هذه اللحظة، هو لا ينتظر الموت، بل
ينتظر العدالة.

أطفأ الشمعة.

في الظلام الدامس، كان صوت سارة يناديه أكثر
وضوحاً من صوت الفيروس في دمه.

ياسر...

لم يجب. فقط أغلق عينيه، وانتظر الفجر.

الفصل السابع

الشظية السادسة: الشبكة

الزمان: السنة الخامسة بعد السقوط

المكان: غرفة العمليات المركزية

الشخصية: اللواء سليم

لم يكن هناك غبار هنا. لم تكن هناك رائحة موت.

كانت الهواء مكيفاً على درجة حرارة ثابتة، رائحته تفوح بالنعناع والمعقمات الفاخرة. خارج الجدران الخرسانية المسلحة، كانت المدينة تأكل نفسها. لكن هنا، في بطن الوحش، كانت الحياة تسير بانتظام الساعات السويسرية.

جلس اللواء سليم أمام جدار من الشاشات. كل شاشة تعرض زاوية مختلفة من المدينة الميتة. كاميرات مراقبة لا تزال تعمل بفضل المولدات الضخمة التي تسرق وقودها من شاحنات الناجين.

كان يشاهد لوحة فنية من الفوضى، وهو يرتشف قهوته الساخنة في كوب من الخزف الصيني، ليس عليه أي خدش.

دخل المساعد، وجهه شاحب، يحمل جهازاً لوحياً يرتجف في يده.

سيدي... لقد خرجت من المصارف.

لم يلتفت سليم إليه. عيناه كانتا مثبتتين على شاشة تعرض الحي القديم.

من؟

ليلي. خرجت من مصارف المستشفى الشمالي.
اختفت عن الرادار منذ عشر دقائق.

وضع سليم الكوب ببطء على الطاولة. صوت الخزف وهو
يلمس الزجاج كان الصوت الوحيد في الغرفة الصامتة.

عشر دقائق؟ كرر بصوت هادئ لم يحمل أي غضب.
كافية لكي تصل إلى حدود الحي القديم.

سيدي، هل نرسل فرقة الاعتراض؟ لدينا قناصون
متمركزون على...

لا، قاطعه سليم. رفع يده بإشارة توقف واحدة. أوقفت
العملية.

تجمد المساعد. سيدي؟ إنها تحمل الوثيقة. هي خطر
على...

هي طعم، قال سليم، والتفت أخيراً. عيناه لم تكونا

باردتين كالحجر هذه المرة، بل كانتا تلمعان بذكاء
مفترس. لو قتلتها الآن، ستموت الحقيقة معها في قبر
مجهول. ياسر لا يثق بأحد. لكنه قد يثق بابنة سارة.

نهض سليم من كرسيه الجلدي الفخم، ومشى نحو
الشاشة الكبيرة. أشار بإصبعه إلى منطقة مظلمة في
الخريطة.

هل فعلنا العميل داخل مخيم الناجين؟

نعم سيدي. هو ينقل تحركاتها لحظياً.

ممتاز. ابتسم سليم ابتسامة لا تصل لعينيه. دعوها
تذهب إلى المكتبة. دعوها تجد العلامات التي تركها
ياسر عمداً. هو يريد أن يُوجد. وهي تريد أن تجد. نحن
فقط... سنكون الظل الذي يربط بينهما.

التفت إلى المساعد، ونظر إليه نظرة جعلت الرجل
يبتلع ريقه بصعوبة.

أخطئوا عمداً في تتبعها مرة واحدة. دعوها تشعر أنها
مراوغة ذكية. عندما تشعر الفريسة بالأمان الوهمي...
تتوقف عن التفكير وتسترخي.

ثم؟ سأل المساعد بصوت خافت.

ثم نغلق الشبكة.

عاد سليم إلى كرسيه. نظر إلى شاشة أخرى تعرض
قائمة أسماء. اسم ليلي كان ملوناً بالأحمر الوامض.
اسم ياسر كان باهتاً بجانبه.

تذكر الليلة في المستشفى. تذكر تهديده للطبيب. لم
يكن تهديداً فارغاً. كان استثماراً. واستثماراته الآن
ستحقق أرباحها.

لم يكن يهمة الفيروس. لم يكن يهمة الموتى. المهم
هو من يملك الحقيقة بعد أن ينتهي الموت. ومن يملك
الحقيقة، يملك العالم الجديد.

أخذ قلمًا ذهبيًا وداره بين أصابعه.

ليلي، نامها على لسانه كأنه طعم لحم نبيء. جري قليلاً.. فالفريسة عندما تتعب، تتوقف عن التفكير.

أغلق الشاشة الرئيسية. الغرفة غرقت في ظلام جزئي، لم يبقَ سوى ضوء الشاشات الصغيرة ينعكس على وجهه، مما جعله يبدو كشيطان يراقب جحيمه الخاص.

في الخارج، بدأت الرياح تعوي مرة أخرى. لكن داخل الغرفة، كان القرار قد صدر.

الشبكة لم تكن حول المستشفى. الشبكة كانت حول الحقيقة. وهم جميعاً، ليلي وياسر والناجون، مجرد أسماك تسبح نحو الطعم.

الفصل الثامن

الشظية السابعة: الخريطة

الزمان: السنة الخامسة بعد السقوط

المكان: أنقاض المكتبة العامة في الحي القديم

الشخصية: ليلي

كانت رائحة الورق المتعفن أقوى من رائحة الموت.

وقفت ليلي أمام المبنى الضخم الذي كان يوماً ما
صرحاً للمعرفة. الآن، كان هيكلاً عظيماً لعملاق ميت.
السقف منهار، والكتب تناثرت في الشوارع الخارجية
مثل أوراق الخريف اليابسة، تتداس تحت الأقدام
وتتحول إلى غبار.

دخلت من المدخل الجانبي، متجنباً البهو الرئيسي المكشوف للسماء. ضوء القمر كان كافياً لترى الطريق. أحذيتها تظاً على زجاج مكسور وصحف قديمة تعود لعالم لم يعد موجوداً. عناوين الصحف كانت ساخرة: توقعات بنمو اقتصادي، اكتشاف دواء جديد.. كلها أكاذيب دفنها الفيروس تحت الركام.

توقفت في قاعة القراءة الرئيسية. الطاولات الخشبية مقلوبة، والرفوف فارغة إلا من بقايا كتب ممزقة.

أخرجت الورقة من جيبها. قارنت الإحداثيات المكتوبة على الحاشية بالمكان حولها.

الزاوية الشمالية.. حيث يحترق الضوء آخر مرة.

نظرت نحو الجدار الشمالي. كان هناك رف كتب ضخمة لم يسقط تماماً، مائل بزاوية خطيرة. اقتربت منه

بحذر.

مسحت الغبار عن الجانب الخشبي للرف.

كان هناك نقش. ليس عشوائياً، بل محفور بسكين حاد.

ختم دائري صغير. نفس الختم الموجود على ورقة ياسر: مختبر الأبحاث المركزي.

تحت الختم، سهم محفور يشير إلى الأسفل.

إذن هناك قبو، همست.

لكن قبل أن تتمكن من البحث عن مدخل، سمعت صوتاً خلفها.

صوت سعال جاف، متقطع.

التفتت بسرعة، مسدسها موجه نحو الظلام. ظهر!

خرج من بين الظلال رجل عجوز، ملفوف بقطع قذر من القماش، يتكئ على عصا خشبية. عيناها غائرتان، لكنهما لم تكونا خائفتين. بل كانتا مليئتين بحزن عميق.

لا تطلق النار يا ابنتي، قال بصوت مبحوش. الرصاص ثمين.. والموت أرخص من أن يهدر بهذه السهولة.

خفضت ليلى المسدس قليلاً، لكن أصبعها بقي على الزناد. من أنت؟

حارس هذه المقبرة، أشار إلى الكتب حولهم. كنت أمين مكتبة.. قبل أن تصبح الكلمات بلا معنى.

خطا خطوة للأمام. أنت تبحث عن الطبيب.

لم يكن سؤالاً. كانت جملة مؤكدة.

تصلبت ليلي. ماذا تعرف؟

أعرف أنه كان هنا، قال العجوز، وعيناه تجويان المكان كما لو كان يرى أشباحاً. قبل سنة. كان يأتي ليلاً. يجلب أوراقاً ويخبئها في الجدران. كان يقول إن الحقيقة أثقل من الرصاص.

تقدمت ليلي نحوه. أين هو الآن؟

نظر العجوز إليها طويلاً، ثم خفض صوته حتى كاد يصبح همساً. هو لا يهرب الآن. هو ينتظر.

ينتظر من؟

ينتظر الدم، قال العجوز ببساطة. يدرك أن الدين يجب أن يدفع. هو في القبو السفلي للمبنى الجنوبي. لكن احذري يا ابنتي..

توقف العجوز، ونظر نحو النافذة المكسورة في السقف.

الظلال لها عيون هنا. منذ أن دخلتِ الحي، كان هناك
شخص يراقب من فوق التل. رجل يرتدي معطفاً
داكناً.

شعرت ليلي بقشعريرة تسري في ظهرها. سليم. أو
أحد رجاله.

لماذا تخبرني؟ سألت. قد يقتلونك لأنك تحدثت.

ابتسم العجوز ابتسامة حزينة. الموت آتٍ لا محالة يا
ليلي. لكن الحقيقة.. الحقيقة هي الشيء الوحيد
الذي يجعل الموت محتملاً. امضي.. قبل أن تغلق
الشبكة.

أومات له ليلي بشكر صامت.

تحركت نحو المخرج الخلفي الذي أشار إليه العجوز.
لكن قبل أن تغادر، التفتت إليه مرة أخرى.

ما اسمك؟

لا يهم الأسماء في زمن الخراب، رد العجوز، وعاد
يختفي في الظلال كما ظهر. فقط تذكرني.. عندما
تجدينه.. لا تنسي من دفع الثمن قبله.

خرجت ليلى إلى الشارع الخلفي. الرياح كانت أقوى
هنا.

نظرت إلى المسدس في يدها. لم يعد مجرد أداة
للبقاء أو للدفاع عن النفس.

أصبح مفتاحاً.

مفتاحاً لغرفة مغلقة منذ خمس سنوات. مفتاحاً
لحقيقة قد تحرق العالم، أو تنقذه.

نظرت نحو المبنى الجنوبي في الطرف الآخر من
الحي. كان يبدو أكثر ظلمة من البقية، كأنه يبتلع
الضوء.

جئتُ يا ياسر، همست للرياح. جئتُ لأخذ ما تبقى
من روحك.

تحركت نحو الهدف. لم تعد تهرب.

الصيد بدأ، لكن الصياد لا يعرف أن الفريسة تحمل
خريطة لنهايته.

الفصل التاسع

الشظية الثامنة: الانتظار

الزمان: السنة الرابعة بعد السقوط

المكان: القبو السفلي للمبنى الجنوبي

الشخصية: د. ياسر

لم يعد يسمع صوت الفيروس في صدره. أصبح الصوت جزءاً من نبضه، كدق ساعة قديمة تعد الثواني المتبقية.

في القبو، كان الوقت قد توقف. الشمعة على الطاولة كانت قد ذابت حتى نصفها، تاركة بركة من الشمع المتجمد تشبه الجزيرة في محيط من الظلام.

نهض د. ياسر من على الفراش البالي. جسده كان أخف مما يجب، كأن اللحم قد ذاب وبقي العظم والجلد والذنب.

مشى نحو الرف الخشبي في الزاوية الشمالية. كان هذا هو المكان. المكان الذي سيأتي منه الأمل، أو الموت.

أخرج سكيناً صغيراً من جيب معطفه الرث. لم يكن سلاحاً للقتال، بل أداة للنحت.

بدأ يحفر على الخشب.

كانت يده ترتجف، لكن إرادته كانت صلبة كال فولاذ. نحت الدائرة الصغيرة. الختم الذي كان يوماً ما رمزاً للعلم والبحث، أصبح الآن رمزاً للفضيحة والدم.

نحت السهم تحتها.

إلى الأسفل، همس. الحقيقة دائماً في الأسفل.. مدفونة تحت الأكاذيب.

عاد إلى الطاولة. أمامه حقيبة مقاومة للماء، مغلقة

بإحكام. بداخلها: الدفتر الأسود، العينات المتبقية من الفيروس، والتقارير المفصل الذي يربط اللواء سليم ببداية الوباء.

هذه الحقيبة هي روحه الثانية. إذا مات جسده، يجب أن تعيش هذه الحقيبة.

جلس على الكرسي الوحيد في الغرفة.

نظر إلى يديه. نفس اليدين التي مدت القناع للرجل الكبير في السنة صفر. نفس اليدين التي تركت سارة تموت.

لخمس سنوات، حاول غسلهما بالماء والقدر، لكن الدم لا يغسله إلا الدم.

ليلى، قال اسمها في الغرفة الفارغة.

لم يرها منذ كانت طفلة، لكنه تخيل وجهها. وجه أمها، لكن بعينين تصلبان لا تطلبان الرحمة، بل تطلبان الحق.

أخرج ورقة بيضاء جديدة. لم يكتب فيها تقارير طبية هذه المرة. كتب رسالة.

إلى من يجد هذا.. إذا كنتِ أنتِ يا ليلي.. فاعلمي أن أمك ماتت كإنسانة، بينما أنا عشتُ كجبان. هذه الحقيبة هي ثمن تأخر خمس سنوات. لا تغفري لي، لكن لا تضيعي الحقيقة من أجلي.

طوى الرسالة ووضعها فوق الحقيبة.

ثم فعل شيئاً لم يفعله منذ سنوات. فتح الدرج الصغير بجانب الطاولة، وأخرج منه عبوة ناسفة بدائية الصنع. أسلاك، بطارية، ومتفجرات جمعها من الغام لم تنفجر في الشوارع.

وضعها تحت الطاولة. وصل الأسلاك بمفتاح صغير في يده.

لم يكن يخطط للانتحار هروباً. كان يخطط للانتحار
درعاً.

إذا دخل سليم رجاله إلى هنا قبل وصول ليلي،
سيفجر المكان ويحرق الدليل معهم.

وإذا ليلي هي من تدخل.. سيكون المفتاح في يدها
هي.

نظر نحو السقف، كأنه يستطيع رؤية الأرض من فوقه.

لقد سمعتُ أنكِ تبحثين، قال للظلام. لقد تركتُ لكِ
الأثر. الآن، الأمر متروك للقدر.

أغلق عينيه.

للمرة الأولى منذ خمس سنوات، لم يحلم بسارة
وهي تصرخ. حلم بها وهي تبتسم، وتقول له: أنت

متأخرا يا ياسر.. لكنك أتيتَ في النهاية.

استند ظهره إلى الكرسي، وترك يده ترتاح فوق
المفتاح الأحمر الصغير.

جلس في الظلام، وانتظر.

للمرة الأولى منذ خمس سنوات، لم يخف من الصوت
القادم على الدرج.

كان الصوت الوحيد الذي يريد سماعه الآن، هو صوت
خطواتها.

الفصل العاشر

الشظية الأخيرة: الفجر

الزمان: السنة الخامسة بعد السقوط - الليلة الحالية

المكان: القبو السفلي للمبنى الجنوبي

الشخصيات: ليلي، د. ياسر، اللواء سليم

لم يكن الباب مغلقاً.

وقفت ليلي أمام المدخل الخشبي المتداعي للقبو.
كان مفتوحاً قليلاً، كما لو كان شخصاً ما ينتظر
قدومها منذ سنوات.

نزلت الدرجات الحجرية واحدة تلو الأخرى، مسدسها
مرفوع، وأنفاسها محبوسة في صدرها. رائحة العفن
هنا كانت مختلفة.. ممزوجة برائحة دواء قديم، ورائحة
رجل لم يستحم منذ أشهر.

في وسط الغرفة، جلس د. ياسر على الكرسي

الوحيد.

لم يكن يبدو كوحش كسرت حياة آلاف الناس. كان يبدو كهيكل عظمي مغطى بجلد شفاف، عيناه غائرتان، لكنهما لمعتا عندما رآها.

وضع يده على طاولة صغيرة، بجانبها حقيبة سوداء مقاومة للماء.

ليلي، قال اسمها. صوته كان كحفيف أوراق جافة.

توقفت ليلي على بعد خطوات منه. المسدس لم ينخفض. أنت تعرف اسمي.

أعرف كل شيء عنك، قال ياسر ببطء. أعرف أنك ولدت في حي الزهور. أعرف أن لون عينيك مثل عيني أمك.. سارة.

تشنجت يد ليلي على المسدس. لا تنطق اسمها

بلسانك الملوث.

لا أنطقه لأتبرأ، قال ياسر، ونظر إلى يديه المرتجفتين.
أنطقه لأعتذر. لقد متُ آلاف المرات منذ تلك الليلة..
أكثر مما سأموت الليلة.

دفع الحقيقة السوداء نحوها ببطء.

هنا الحقيقة. كل شيء. تجارب سليم، التلاعب
بالفيروس، أسماء القتلى.. واسم أمك بينهم.

لماذا تعطيني إياها؟ سألت ليلي، وصوتها يهدد
بالانكسار. لأهرب؟ ولتموت أنت هنا بضمير مرتاح؟

ليس راحة، ابتسم ياسر ابتسامة باهتة. هي فدية.
دمي لا يغسل دم سارة، لكنه قد يحمي دمك أنت.

فجأة، اهتزت الأرض.

صوت انفجار بعيد، ثم صراخ جنود في الطابق العلوي
من المبنى.

صوت مكبر صوت يعلو من الخارج: يا دكتور ياسر.. نحن
نعلم أنك في الداخل. أخرج وسلم الفتاة، وسنسمح
لك بالموت بكرامة.

صوت اللواء سليم.

نظر ياسر إلى ليلي. الوقت انتهى.

سأقاتل، قالت ليلي، وتقدمت خطوة.

لا، قال ياسر بحزم لم تتوقعه من جسده الهزيل. طريق
الهروب وراء الرف الشمالي. يؤدي إلى المجاري ثم
إلى النهر. خذي الحقيبة واذهبي.

وأنت؟

أنا المفتاح الذي يجب أن يكسر ليغلق الباب.

مد ياسر يده تحت الطاولة. أمسك بمفتاح صغير متصلاً
بأسلاك خفيفة تختفي تحت الأرضية.

عبوة ناسفة. ليست كبيرة بما يكفي لهدم المبنى،
لكنها كافية لجعل هذا القبو قبراً لكل من يدخله.

سليم يريد الحقيقة ليدفنوها، قال ياسر. أنتِ تريدينها
لتبعثوا الحياة من جديد. الفرق بينكما هو من يملك
الحق في المستقبل.

صوت خطوات ثقيفة اقتربت من الدرج. ظلال رجال
سليم ظهرت في مدخل القبو.

أمسكوا بها! صرخ قائد الفرقة.

لم تتردد ليلى. خطفت الحقيبة من على الطاولة.
نظرت إلى ياسر للمرة الأخيرة.

لم تقل سامحتك. لم تقل أكرهك.

قالت فقط: لن أنساك.

ثم التفتت وركضت نحو الممر الخلفي المظلم.

سمع ياسر صوت إغلاق الباب السري وراءها.

تنفس بعمق. للمرة الأولى منذ خمس سنوات، دخل الهواء إلى رئتيه دون ألم.

نظر نحو الجنود الذين اندفعوا نحوه، مسدساتهم مصوبة نحو صدره.

وراءهم، وقف اللواء سليم، وجهه مشوهاً بالغضب.

أين ذهبت؟ صرخ سليم.

ابتسم ياسر. كانت ابتسامة المنتصر.

إلى المستقبل يا سليم.. حيث لا توجد أوسمة لقاتلي
الأطفال.

ضغط ياسر على المفتاح في يده.

لم يكن هناك صوت للانفجار أولاً. كان هناك ومضة
بيضاء بلعت الظلام.

ثم جاء الصوت ليهز أساسات الحي القديم.

بعد ساعة.. على تل بعيد يطل على المدينة

وقفت ليلى وحدها.

كانت النار تلتهم المبنى الجنوبي، عمود من الدخان
الأسود يصعد نحو السماء الملبدة بالغيوم.

لم تكن تبكي. الدموع جفت في زمن الخراب.

كانت تضم الحقيبة السوداء إلى صدرها كما تضم طفلاً.

فتحت الحقيبة. الأوراق داخلها واضحة. الأدلة قاطعة.

نظرت نحو المخيم الشمالي، حيث كانت أضواء خافتة تلمع في الظلام. هناك ناجون. هناك بشر ينتظرون خبراً، ينتظرون أملاً، ينتظرون معرفة من كان العدو الحقيقي.

لم يكن الفيروس هو العدو. كان الخوف، وكان الطمع، وكان الصمت.

أخرجت جهاز لاسلكي قديم من جيبتها. كان يعمل على تردد الطوارئ الذي يسمعه جميع الناجين في المدينة.

ضغطت على زر الإرسال.

صمت لمدة ثانية. ثم تحدثت. صوتها لم يرتجف.

هنا ليلى.. من حي الزهور.

انتهى زمن الخراب.

لدينا الحقيقة.. ولدينا الغد.

استعدوا..

أغلقت الجهاز.

نظرت إلى الأنقاض المشتعلة أمامها. كانت النار تلتهم
جثة ياسر، وجثة سليم، وجثة الماضي المؤلم.

لكن في يدها، كانت تحمل بذور المستقبل.

التفتت وظهرها للنار، وبدأت تمشي نحو المخيم.
الخطوات كانت ثقيلة، لكن الأرض لم تعد تهوي تحت
قدميها.

الخراب انتهى.. وبدأت شظايا البناء.

خاتمة

في عالم انهارت فيه القيم، لم يبقَ سوى الشظايا.

شظايا الذكريات، شظايا الآلام، شظايا الآمال.

لكن من يجمع هذه الشظايا بيدين ثابتتين، وقلباً يؤمن
بالغد، يستطيع أن يبني منها عالماً جديداً.

ليلى جمعت شظاياها.

ياسر دفع ثمن شظاياها.

وسليم احترق مع شظايا ظلمه.

والحقيقة؟

الحقيقة هي الشظية الوحيدة التي لا تنكسر أبداً.

في مدينة ماتت فيها الرحمة، تبحث ليلى عن حقيقة
قد تقتلها.

طبيب خان قسمه.. وجندي باع ضميره.. وفيروس
كشف عري الإنسان.

حين تنهار القيم، لا يبقى سوى الشظايا.. ومن
يجمعها يملك المستقبل.

حقوق النشر

جميع الحقوق محفوظة للكاتب

د. محمد كمال عرفه الرخاوي

لا يجوز نسخ أو نشر أو توزيع هذا العمل بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف.

تمت بحمد الله